وياسمينة القادمة بحثا عن الشعر وجسدها تقيم علاقة عاطفية منهارة سلفا مع نمر نجل احد الزعماء التقليديين. وحين تنهار علاقة ياسمينة بنمر ، وتنهار شخصية فرح يلتقيان من خلال علاقة نيشان بنمر ولا يتعرفان على بعضهما الا بعد مقتل ياسمينة على يد شقيقها ، فسلا للعار ، لانها لم تعد تستطيع ان تدفع له . أما اللقاء وجها لوجه قبل موت ياسمينة ، فقد حصل على مائدة نيشان ، دون ان يعني احدهما شيئا للاخر . ففرح كان على شفير الجنون ، وياسمينة كانت على طرف الانهيار.

الى جانب هاتين الشخصيتين الرئيسيتين هناك ثلاث شخصيات أساسية في الرواية : صياد الاسماك ابو مصطفى وابنه مصطفى . هنا نتعرف على نتف لها قيمة دلالية فقط من حياة الصيادين البائسة . قليل من التفاصيل تأتي من عالم البحر الرحب والشاسع . نقطة الالتقاء الوحيدة مع بقية شخصيات الرواية تأتي من خلال مستويين : المستوى الاول هو علاقة مصطفى ، الذي يصبح صيادا لاول مرة، بالسمكة انها علاقة شاعرية . لا يحب قتل الاسماك . ينظر الى القمر والى السمكة . ويكشف عن علاقتهما . هذه العلاقة تتكرر عبر فرح . لكن من خلال كوابيس انفصام الشخصية التي تنتابه . المستوى الثاني هو مستوى الممارسة السياسية . فمصطفى بعد انضمامه الى احد الاحزاب — طريقة الانضمام مسقطة بشكل غير مقنع على الاقل — يصبح احد المناضلين في صفوف الصيادين ضد الاحتكاريين الذين يصدف ان يكون والد نمر احدهم .

وهناك ابو الملا ، العامل في الحفريات ، والذي يحمل جنسية قيد الدرس . نتعرف على بعض مظاهر حياة الكادحين من خلاله . ثم نكتشف من خلال سرقته للتمثال ، تلك العلاقة المميتة ، علاقة الفرح بالمحرمات ، كسر الاخلاقية البرجوازية التي تؤدي الى الموت .

وهناك طعان ، الصيدلي ، الذي يعود من الخارج حيث أكمل دراسته ، ليكتشف انه سيصبح ضحية للثأر العائلي . فيعيش حياته هاربا ومطاردا الى أن يقتل شخصا لا يعرفه ، لانه اعتقد انه يتعقبه .

ونأتي في النهاية الى جنون فرح . ازدواج شخصيته . وكوابيسه المرعبة ، حيث ينهار الزمن. وتصبح الاشياء علاماته الوحيدة لاكتشاف نفسه التي اضاعها . ولا ينقذه مؤقتا الا الهرب من مستشفى المجانين باللوحة التي تشير الى المستشفى ووضعها امام مدخل مدينة بيروت .

اذا حاولنا اكتشاف موحد لهذه العلاقات المفتتة، فاننا لن نجد سوى المكان . بيروت هي الموحد الوحيد . وبيروت هي هنا شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تسيطر عليها البرجوازية التجارية المنهارة . ولكن هل يكفي المكان بهذا المستوى وحده ليشكل عامل توحيد للرواية ؟ ان المقياس الاساسي الذي يجب ان يحاكم عمل ادبي على اساسه ، هو افتراضات العمل عن نفسه . فروايات الشخصيات تفترض اساسا شخصيات مقنعة ، وليس مجرد نماذج يمكن استنطاقها ما نريد . والشخصية المقنعة لا تتكون الا داخل تطورها نفسه وداخل علاقاتها ببقية الشخصيات ، حيث يصبح التطور تداخليا . فالشخصية تضيء نفسها في علاقاتها بالشخصية الاخرى . هكذا نصل الى علم تخلقه الكتابة الروائية . اذا افتقد هذا العالم ، يحق لنا ان نتساءل عندها الاسئلة الاولية. كيف تصنف هذه القصة ؟

في المكان نفسه ، بيروت ، تتعايش ازمنة مختلفة . التوازي في الشخصيات ، يبقي هذا التفاوت الصارخ ، فكيف يمكن اقامة عناصر الوحدة ؟ يمكن ان تأتي الوحدة في مستوى آخر . مستوى الكتابة . فزمن الكتابة هو الزمن المحدد لمجموعة ازمنة العمل الادبي . ماذا نعني بزمن الكتابة ؟ نعني به اساسا خلق مناخ خاص ، يعارض التسلسل الذي تجري فيه الاحداث ، او التي اصطلح انها تجري به ، ليكشف من خلال زمنه العالم من وجهة جديدة . تختلط في هذا الزمن اللغة بالعلاقات . فاللغة هي عالم العلاقات التي يجري نسجها ، والعلاقات هي لغة جديدة تتم صياغتها في رؤية موحدة ، تتعدد فيها المستويات ، لكنها تبقى موحدة بمعنى الوحدة الجدلية التي لا تمحو التناقضات ، بل تتجاوزها الى تناقضات جديدة .

تحاول السمان في « بيروت ٧٥ » اقامة زمن كتابة موحد . لكنها أمام تفتت عناصر علاقات الشخصيات ببعضها ، تلجأ الى وحدة شكلية .